محمد والمرأة

— ٢ —

اما أم كبشة فلما استأذنته في الخروج معه ، قال لها لا

فقالت له :

— اني اداوي الجريح واقوم على المريض .

— اجلسي لايتحدث الناس ان محمدا يغزو بامرأة

بمرور الزمان ولو ان الرغبة فيها آخذة بالتزايد . ويمكن اليوم « أخذ » المعرفة بعدة مئات من الطرق لم يكن يعرفها مؤسسوا الكليات . ليست الكتب المتهاودة في السعر هي وحدها وسيلة التعليم بل هنالك المكتبات العامة والمدارس الليلية والمحاضرات والصحف والمجلات والغرامافونات والراديو مما لا يحتاج فيه الانسان الى اعتزال العمل مدة اربع سنوات للحصول على العلم . والدماغ النشيط لا ينفك يتناول العلم و يتثقف بصورة مستمرة طول الحياة .

فلو زالت جميع الكليات اليوم من العالم وتفرق اساتذتها لا يقل شأن المعرفة والثقافة في العالم وتنتقل حضارة العصر الحاضر كلها الى العصور المقبلة من دون الكليات لان الطفل الذي يتم تحصيله الثانوي يستطيع مواصلة الدرس الى الحد الذي يشاء من دون ان يحتاج الى استاذ والذي يتعلم العلم بنفسه عن رغبة صادقة يكون اتقن من خريج الكلية واكثر منه رغبة في الاستمرار على الدرس .

اذن لبهنأ الفقراء الذين لم يتيسر لهم اخذ العلم عن الكليات فان اعظم الساسة والمشرعين والكتاب والمخترعين والفنانين والروحانيين لم يكونوا ممن هذبتهم الكليات » ؟

فانظروا أيها السادة كيف ان النبي (ص) علل اخذها معه بالخوف ان يشيع بين القبائل ان محمداً لارجال عنده ولا ابطال فهو يحارب بربات الحجال . ولم يقل لها : اجلسي فليس الخروج مع الجنود من شأنك .

وقال انس : انني في وقعة أحد رأيت زوجة النبي عائشة ومعهـا امي (ام سليم) مشمرتين ارى خلا خيلهما وهما تقفزان قفزاً . وعلى ظهورهما قرب الماء تفرغانها في افواه العطاش ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في افواههم .

وهنا امرأة اخرى هي (رفيدة) الاسلمية ماكانت ترافق الجيش وانما نصبت خيمة في مسجد النبي (ص) وجعلت تداوي فيها الجرحى ، وتعالج المرضى .

ولما جرح سيد الانصار (سعيد بن معاذ) في وقعة الخندق قال لهم النبي (ص) « اجعلوه في خيمة رفيدة »

هذه وظيفة « رفيدة » في زمن الحرب . اما في زمن السلم فكانت تأتي بالعجزة والبائسين الى خيمتها فتخدمهم وتخفف اتعابهم .

فنعمت الخيمة خيمة « رفيدة » كانت مستشفى عسكريا وقت الحرب ، وملجأ للعجزة ايام السلم .

وجاء رجل من المشركين المحاربين الى السيدة « ام هانيء » واستجار بها فاجارته . فعارضها بعض الصحابة واراد ان لا يعتبر جوارها . فاغتاظت منه وشكت الى النبي فقال لها « قد اجرنا من اجرت يا أم هاني » .

وهذا من ام هاني مداخلة في امور سياسية عسكرية . وقد رأى النبي (ص) ان لها الحق فيما فعلت . ولم يقل لها : ان هذا ليس من شأنك فعليك

بالطبخ والزينة وتربية الاولاد فقط .

* * *

ولكن مع هذا ايتها السيدات كان محمد يرى ان الزينة واذارة المنزل هما اكبر وظائف المرأة :

فكما كان يباهي بالمرأة القرشية التي تحفظ مال زوجها وتعكف على تربية اولادها — كان في الوقت نفسه يعجبه ان لا تنسى المرأة انوثتها ، ولا تهجر زينتها ، ولا تعطل بحال من الاحوال امومتها . حتى انه كان يكره ان لا يرى اثر الخضاب في كفي المرأة (وكان الخضاب اجمل زينة للنساء في العصور الماضية) .

قالت أم سنان : بايعت النبي على الاسلام فنظر الى يدي وليس فيها اثر للخضاب فقال :

« ما على احداكن ان تغير اظفارهـا وتعصب يدها ولو بسير » فهو يحضها على الخضاب وان يكون في معصمها سوار . ولو سيراً من جلد

عرف محمد (ص) نفسية المرأة وغرائزها الخاصة بجنسها : فكان يعاملها بمقتضى ماعرفه منها ، فيكثر من تأنيسها والرفق بها ، والانة القول لها .

وان كثيراً مما كان يعامل به نساءه نراه اليوم غير لائق ولا مناسب .

من ذلك انه كان يخرجهن معه في اسفاره .

وكانت احداهن اذا ارادت الركوب بسط لها ركبته لتدوس عليها وتصعد الى هودجها .

واذا كان معها في الفلاة سابقها اشواطاً لاجل الرياضة وادخال المسرة عليها

وادخل الحبشة يوم عيد الى المسجد لترى لعبهم بالحراب كما يلعبون اليوم بالسيف والترس

وكان للنبي (ص) جار من بلاد فارس فدعا هذا الفارسي النبي الى طعام ولم يدع معه زوجته السيدة عائشة . فلم يقبل النبي الدعوة مالم تكن معه عائشة . فدعاها .

وكأن النبي يرى ان ترك دعوتها اهانة لها ولذا رفض الدعوة مالم تدع هي ايضاً .

ونهى الرجل عن ضرب زوجته ونبهه الى ان ضربها لا يلائم طبيعة ما بينهما من العلاقة الزوجية : يضربها العصر ثم لا يلبث في العشي ان يتملقها ويلح في استرضائها . فما اغناها عن الحالتين .

وما زالت الشرائع الانكليزية الى عهد قريب تجيز للزوج ان يضرب زوجته لكن بعصا لا تزيد ثخانتها على الاصبع .

وكان النبي (ص) يكرم حاضنته (بركة الحبشية) ويقول للصحابة هذه أمي بعد أمي .

وكان يمازحها احيانا :

طلبت منه جملا تركبه فوعدها بان يهدي اليها ابن الناقة فصاحت: وماذا أصنع بابن الناقة هل يطيق ان يحملني ؟ أريد جملا .

فضحك الصحابة وقالوا لها ويحك يا بركة وهل الجمل الا ابن الناقة .

ورأى النبي (ص) في صبيحة يوم من الايام نساء مقبلات من عرس ومعهن صبيانهن فوقف لهن وهتف قائلا : « اللهم انتم من أحب الناس الي. اللهم انتم من أحب الناس الي »

نعم ايها السادة هو يحب النساء :

لانهن يربين الرجال كما ربته « بركة » في يتمه

ويساعدن الرجال في النهضات الكبرى كما ساعدته «خديجة» في نهضته

وينشرن الثقافة والعلم عن الرجال كما فعلت « عائشة » مذ حملت ثقافته وبلغت أمته سنن شريعته

تبشير محمد (ص) بالمرأة وتحريره لها من عبوديتها القديمة لم يخف امره على العلماء من كتبة اورو با حتى غير المنصفين منهم

فقد قال المستشرق « اندره سرفيه » في كتابه الذي سماه « الاسلام ونفسية المسلمين » L'Islam et la Psychologie des Musulmans: ما نصه :

« يتحرى محمد الاسباب التى تجعل المرأة من حزبه . ولا يتكلم عنها الا بكل لطف ، ويجتهد فى ان يحسن احوالها » .

« وكان النساء والاولاد قبله لا يرثون » .

« بل الاسوأ من ذلك ان الاقرب نسباً للميت « هو الذي كان يرث نساء الميت فى جملة ما يرث من مال ورقيق » .

« وعند ما نهض محمد أعطى المرأة حق الارث « واوجب كل ما كان حسناً فى حقها » .

ثم قال : « ومن اراد التحقق من عناية محمد « بالمرأة فاليقرأ خطبته في مكة التى اوصى فيها بالنساء »

« فمحمد لا يجهل ان المرأة اذا كانت أسيرة فى النهار فهي سيدة فى الليل » .

وان نفوذها ابداً عظيم » .

هذا ماقاله « اندره سرفيه » وهو بالرغم من طعنه في محمد ، لم يتمالك عن التصريح بانه حرر المرأة .

بل ان ان العالم الالمانى دريسمان Driesman صرح بان اعطاء محمد المرأة حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيتهم . ولهذا لما عاد اتباعه فسلبوا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيتهم »

(يتبع)

المحيط الطبيعى
وتغلب الانسان عليه

(تمـــة)

كانت البحار الصغيرة التي تقع بين افريقية واوربة — آسية. اول البحار التي سير الانسان فيها سفنه لان كانت سواحلها آهلة بالنفوس . كما انها كانت كثيره الجزر وقليلة المد والجزر فلم يجد التجار صعوبة في السير فيها . اذ كانوا لا يبتعدون عن جزيرة حتى تظهر جزيرة أخرى بخلاف المحيطات الكبيرة . فالصينى مثلا لم يستطع ان يكون ملاحاً فى البحر رغم مهارته في هذا الفن لان تنصب انهره فى المحيط .

إذن سواحل البحر الابيض وما يجاورها هي اول ما سيطر عليها الانسان بواسطة سفنه ومن هنالك انتشرت المدنية الى الغرب . وقد دامت هذه المدينات وظلت تزهوا من ٢٠٠٠ ق.م حتى اواخر القرن الخامس عشر .

كيف استطاع الانسان ان يتغلب على صعوبة تلك البحار واستخدمها وسير فيها سفنه ؟

بدأ الانسان الملاحة في النهر، وكان يستخدم لذلك الرمث اوما نسميه «بالكلك» وبمرور الزمن حسن تلك ، حتى اهتدى الى صنع السفن فاصبح في مستطاعه السير فى البحار .

اول الاقوام التى سيطرت على البحر ، وبرعت في الملاحة هم الاغريق كانوا يقطنون الاراضى والسواحل المحيطة ببحر «ايجه» . لابد ان يكون هؤلاء قد تغلبوا على مشكلة الملاحة بطرق اولية ، لان البحر كان يوصل جزرهم